لانشك في وجود موروثات نفسية عن الأبوين تؤثر في الأبناء، وتطبع تفكيرهم وسلوكهم وأذواقهم بطابع خاص.

3 ـ أما عن علاقات الحكيم وتجاربه الخاصة مع النساء، وأثرها في تشكيل آرائه في المرأة، فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا تلك التجربة العاطفية الأولى في بداية مراهقته حين كان طالباً في مرحلة الكفاءة بالقاهرة، وهي تجربته مع الفتاة «سنية» بنت الحيران التي أحبها حباً عذرياً، واتخذ منها بطلة لروايته «عودة الروح»، وهذا ما يعترف به الحكيم نفسه[33].

يرى «محسن»، وهو اسم الحكيم في الرواية[34]، «سنية» تحادث عمته على سطح المنزل فيعجب بها، وتظهر عليه الحيرة وعلامات الخجل عندما تقدمه لها عمته «رنوبة» وتمدح لها رخامة صوته وبراعته في أداء بعض الأغاني. وتستدعيه «سنية» لزيارتها في البيت ليعلمها الغناء وتعلمه العزف على آلة «البيانو» فيطير فرحاً.

وتتكرر اللقاءات بينهما فيتمكن حبها من قلبه ويصبح أسيراً لها، يتطلع إلى رؤيتها نهاراً، ويحلم بها ليلاً، ويكتب فيها الأشعار.

وعندما يريد «محسن» أن يسافر إلى الريف حيث يعيش والده يودع «سنية» ويبكي بكاء مراً إلى حد الشهيق فتشفق عليه وتمسح دموعه وتقبله، ثم تهديه منديلاً حريرياً كان قد سرقه منها.

ويعود «محسن» من الريف بعد انتهاء عطلته ليجد «سنية» قد وقعت في حب شاب آخر تتزوجه فيما بعد، فيسود الدنيا في وجهه ويصاب بحزن قاتل يؤثر في دراسته ويسقطه في أعين أساتذته، ويصبح رسوبه مؤكداً آخر السنة، بعد أن كان مضرب المثل في التفوق على زملائه. بل إنه أصبح يتمنى الموت، ويتمسح بضريح «السيدة زينب» وهو يذرف الدمع راجياً منها أن تساعده في محنته.

ويجب أن نلفت النظر إلى أن هذا الحب كان من جانب «محسن» فحسب، فـ «سنية» لم تكن تبادله الحب من أول الأمر، وإنما كانت تعده